المبحث الأول

في مفهوم التوجيه النحوي:

يقتضي البحث دراسة مفهـوم التوجيه النحـوي، بوصـفه مصـطلحاً تقـوم الدراسة على أساسـه، ولـذلك سـنتناول لفظة "التوجيه" لغةً واصطلاحاً.

التوجيه لغة:

التوجيه مصدر الفعل الثلاثي المضعّف العين (وجَّه)، وهو مـأخوذ من الوجه المعـروف، والجمع الوجـوه. ووجه كل شـيء مستقبله.

ويقال: هذا وجه الـرأي، أي: هو الـرأي نفسـه، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به. والتوجيه: الإقبال والانهزام.

ويقال: وجَّهت الريحُ الحصى توجيهاً إذا ساقته. ويقال قاد فلانٌ فلانـاً فوجّـه، أي: انقـاد واتبـع، وشـيءٌ مُوجَّه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف[1].

ويقال: خرج القوم فَوجّهوا للنّاس الطريق توجيهاً إذا وطئـوه وسَلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه.

والوجيه من الخيل: الذي تخرج يداه معاً عند النَّتاج، واسم ذلك الفعل التّوجيهُ.

والتوجيه في القوائم: كالصدق إلا أنه دونه[2].

ووَجّهه الأمير توجيهاً وأوجَهه إيجاهاً: جعله وجيهاً[3].

والتوجيه في الشعر: الحرف الذي بين ألف التأسـيس وحـرف الرويَّ[4].

وقال الأخفش (ت 215هـ): التوجيه حركة الحـرف الـذي إلى جنب الروي المفيد لا يجوز مع الفتح غيره نحو:

قد جَبَر الدِّين الإلهُ فَجَبَر

الـتزم الفتح فيها كلهـا، ويجـوز معها الكسر والضم في قصـيدة واحدة كما مثّلنا[5].

يقـول ابن جـني (ت 392هـ) سـميت الحركة قبل الـروي المقيد توجيهـاً، إعلامـاً أن للـروي وجهين في حـالين مختلفين، وذلك أنه

---

[1] ينظر: لسان العرب: مادة: (وجه).

[2] المصدر نفسه: مادة (وجه).

[3] ينظر: اساس البلاغة: مادة (وجه)، ومختار الصحاح:مادة (وجوه).

[4] ينظر: مجمل اللغة: (وجه)، ولسان العرب: مادة: (وجه).

[5] ينظر: لسان العرب: مادة (وجه)، ومعجم مصطلحات العروض والقوافي: 256-258.

كـان مقيـداً فله وجه يتقدمـه، وإذا كـان مطلقـاً فله وجه يتـأخر عنه[1].

التوجيه اصطلاحاً:

مصطلح بلاغي: أدرجه السكاكي(ت 226هــ) في ضـمن المحســنات المعنوية وعرّفه بقولــه: (هو إيــراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين)[2].

ومن التوجيه متشابهات القرآن باعتبـار احتمالها للـوجهين المختلفين، وأما باعتبـار انه يجب في التوجيه اسـتواء الاحتمـالين فليست منه[3].

وقد أطلق عليه بعضـهم "المحتمل للضـدين" كـأن يقـول الشـاعر: بيتـاً من الشـعر يحتمل معنـيين احـدهما للمـدح، والآخر للهجاء، ومما يمثل له البيت الآتي[4]

خاط لي عمرو قباء   ليت عينه سواء

توجيه القراءة المتواترة:

يقول الزركشي (ت794هـ) في توجيه القراءة المتواترة وتبين الوجه الذي ذهب إليه كل قارئ: "هو فن جليل، وبه تعـرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، أفردوا فيه كتبا منها كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي (ت 377هـ)، وكتاب (الكشف) لمكي (ت 437هـ)، وكتاب (الهداية) للمهدوي...وفائدته أن يكـون دليلاً على حسب المـدلول عليـه، أو مرجحـاً، إلا انه ينبغي التنبيه على شــيء وهو أنه قد تــرجح إحــدى القــراءتين على الأخــرى ترجيحـاً يكـاد يسـقط القـراءة الأخـرى، وهـذا غـير مرضـيّ؛ لأن كلتيهما متواترة"[5].

ونُقل عن أبي شامة (ت 665هـ) قوله: "قد اكثر المصنفون في القراءات والتفسير من الـترجيح بين قـراءة (ملـك) و(مالـك)

---

[1] ينظر: لسان العرب: مادة (وجه).

[2] ينظر: مفتاح العلوم: 180، التعريفات: 43.

[3] ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: 1522.

[4] ينظر: الكليات: 2/83، وأثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق: 146-147.

[5] البرهان في علوم القرآن: 1/399.

حتى أن بعضهم يبالغ إلى حدّ يكاد يسقط القراءة الأخـرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين"[1].

استمع إلى الزمخشري وهو يوجه قوله تعالى: (مَالِك يَومَ الدِّين) (الفاتحة/4)، إذ يقول:"قرئ:ملك يـوم الـدين،ومالـك،وملك بتخفيف اللام.وقــرأ أبو حنيفة(رضى الله عنــه) :مَلَـكَ يـومَ الـدينِ، بلفظ الفعل، ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة (رضى الله عنــه): مالكَ بالنصـب. وقـرأ غـيره: مَلْـك، وهو نصب على المـدح؛ ومنهم من قرأ: مالكٌ بالرفع، وملك: هو الاختيـار؛ لأنه قـراءة أهل الحـرمين، ولقوله تعالى: (لِمَنْ المُلْكُ اليَومَ) (غافر:16)، ولقوله تعالى: (ملك الناس) (الناس/2)، ولأن المُلْك يعم والمِلْكَ يخص[2].

وفي توضيح معنى القراءة قال: "فالاضافة هنا إضافة اسم فاعل إلى الظرف على طريقة الاتساع،تجري مُجْرى المفعول به كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار،

والمعـنى على الظرفيـة، ومعنـاه ملك الأمر كله في يـوم الـدِّين. كقوله تعالى: (لِمَنْ المُلكُ اليَومَ) (غافر:16)[3].

ثم زاد قائلاً :"فإن قلت: فإضافة اسم فاعل إضافة غـير حقيقية فلا تكـون مــعطية معـنى التعريـف، فكيف سـاغ وقوعه صـــفة للمعرفـــة؟ قلت: إنما تكـــون غـــير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصـال، كـــقولك: مـالك الساعة أو غداً، فأمّا إذا قصد معـنى الماضـي، كقولـك: هو مالك عبـــده أمس، أو زمـان مسـتمرّ، كقولـك: زيد مالك العبيـد، كانت الإضافة حقيقية، كـقولك: مــولى العبيـد، وهـذا هو المعـنى في (مَالِكَ يَوْمَ الدِّين) (الفاتحة/4)[4].

وجوَّز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الـدين، كقولـه: (وَنَـادى أصْـحَابُ الجنَّةِ) (الأعـراف:44)ـ والـدليل عليه قـراءة أبي حنيفة: (مَلَكَ يَوْمَ الدِّين)[5].

---

[1] المصدر نفسه: 1/340.
[2] الكشاف: 1/54.
[3] الكشاف:1/55.
[4] المصدر نفسه: 1/56.
[5] المصدر نفسه.

توجيه القراءة الشاذة:

يقول الزركشي (ت794هـ) في توجيه القراءة الشاذة: "وتوجيه القــــراءة الشــــاذة أقــــوى في الصــــناعة من توجيه الـمشهودة، ومـن أحـــسن ما وضع فيه كــتاب (المحتسـب) لأبي الفتح، إلا أنه لم يسـتوفِ، وأوسع منه كتـاب أبي البقـاء العكـبري (ت 616هــ)، وقد يستبشع ظــاهر الشــاذ بــادي الــرأي فيدفعه التأويل، كقراءة: (إنَّما يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادهِ العُلَمَاءَ) (فـاطر/28)، وتأويله ان الـخشية هنا بمعـنى الإجلال والتعظيم؛ لا الخـوف"[1]، وقال صاحب الكشاف: "كأنه قـال: إنما يــخشاه مثلك ومن على صفتك، ممن عــرفه حقّ معرفته وعلمه كنه علمـه... فـإن قلت: فما وجه قراءة من قـرأ: (إنَّما يِــخْشَى اللـهُ مِنْ عبـادهِ العُلمـاءَ) وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفــة؟ قلت: الخشــية في هـذه القـراءة اسـتعارة، والمعـنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجـــلّ المهيب المخشي من الرجـــال بين النّـــاس من بين جميع عباده"[2].

والقراءة المتواترة هي بنصب لفظ الجلالة (الله) مفعولاً به مقدماً، ورفع العلماء فاعلاً مؤخراً.

وكقراءة من قرأ: (هو اللهُ الخَالِقُ البارِئُ المَصوَّرُ) (الحشر/24) "بفتح الواو والراء على انه اسم مفعـول، وتأويله انه مفعـول لاسم الفاعل، الذي هو البارئ، فانه يعمل عمل الفعل كأنه قــال: الذي برأ المصوّر)[3].

وبصدد توجيه هذه القـراءة يقـول الزمخشـري: (الخـالق) المقـدر لما يوجـده و(البـارئ) المميـز بعضه من بعض بالاشـكال المختلفة. و(المُصَوِّر) الممثل. وعن حـاطب بن ابي بلتعة انه قـرأ : (البــارئ المصــوّر)، بفتح الــواو ونصب الــراء، أي: الــذي يــبرأ المصوّر، أي: يميز ما يصوّره بتفاوت الهيآت"[4].

المبحث الثاني

القراءات القرآنية، معناها، وأنواعها:

---

[1] البرهان في علوم القرآن: 1/341.

[2] الكشاف: 3/620.

[3] البرهان في علوم القرآن: 1/341.

[4] الكشاف: 4/509.

لا يكاد يوجد علم من علوم العربية بَلْه النحو إلا وتُعـدّ القراءات رافداً من روافده الثرة؛ فهذا علم اللغة وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة وهذه كتب المعجمـات اللغوية يشـكل القـرآن الكريم بقراءاته أصلاً وركناً ركيناً فيها[1].

وهل نهضت علوم عربية إلا بالقرآن وعلومه؟.

قال الشيخ سعيد الافغاني[2] متحدثاً عن القرآن الكريم: "هو النص الصـــــحيح المجمع على الاحتجـــــاج به في اللغة والنحو والصـرف وعلـوم البلاغـة، وقراءاته جميعـاً الواصـلة إلينا بالسـند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة.

أما طرائقه المختلفة في الأداء فهي كذلك؛ إذ إنَّها مروية عن الصـــحابة وقـــراء التـــابعين وهم جميعـــاً ممن يحتج بكلامهم الاعتيـادي بَلْه قـراءاتهم الـتي تحـروا ضـبطها جهد طـاقتهم كما سمعوها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولا ننس بعد ذلك أن أئمة القّـراء مثل أبي عمـرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضاً.

وقد جرى عُرْف العلمـاء على الاحتجـاج برواياته (يعـني: القرآن) سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة.

والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو؛ إذ هي على كل حال أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن[3].

---

[1] عني العلماء المتأخرون بإبراز هذا الأمر، وبيان أثر القراءات في العلوم ومن المصنفات في ذلك :أ-أثر القراءات في الدراسات النحوية د.عبد العال سالم.
ب-القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة.
ج-الإمالة في القراءات واللهجات، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي.
د-اللهجات في القراءات القرآنية د.عبده الراجحي.
هـ-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، في أحد عشر مجلداً قسمه على ثلاثة اقسام قسم منه في معني الحروف ثلاثة مجلدات، وقسم في النحو أربعة مجلدات، وقسم في الصرف اربعة مجلدات تجاوزت الآيات القرآنية والقراءات في القسم الأول (28700) كما صرح في 1/1/ 18.
و-القراءات وأثرها في علوم العربية د. محمد سالم محيسن
ز-القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين.

[2] سعيد الافغاني عالم بالنحو، له مصنفات وتحقيقات منها كتابه "في أصول النحو" وتحقيق "لمع الأدلة" لابن الأنباري.ينظر: القراءات واثرها في التفسير والاحكام 1/107.

[3] في أصول النحو: 28-29.

ويقـول الشـيخ محمد عبد الخـالق عضـيمة (ت 1984م): "القـــرآن الكـــريم حجة في العربية بقراءته المتـــواترة وغـــير المتــواترة، كما هو حجة في الشــريعة، فــالقراءة الشــاذة الــتي فقدت شرط التواتر لا تقل شأناً عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأســاليبها وقد أجمع العلمــاء على أن نقل اللغة يكتفي فيه برواية الآحاد"[1].

ولمّا كانت بهذه المثابة، ولمّا كانت هذه الدراسة في التوجيه النحــوي للقــراءات القرآنيــة؛ احتــاج الأمر إلى تعريف القــراءات وبيان معانيها وأنواعها، وهذا بحول الله وقوته ما سيأتي:

القراءة في اللغة:

ورد الفعل الثلاثي (قرأ) في كتب اللغة بمعنى جمع وضـمّ أجــزاء الشــيء بعضــها إلى بعض، وهو الأصل في المعــنى، ومنه قولهم: "ما قرأت هذه الناقة سلى"[2].

وما قرأت جنيناً، أي: لم تضم رحمها على ولد[3].

قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

تُريك إذَا دَخَلت على خَلاءٍ وقَدْ أمنتْ عُيون الكاشحيِنا

ذِراعَي عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بَـكْرٍ هَجَان اللْونِ لَمْ تَقْرأ جـنينا[4]

يعني بقوله: "لم تقرأ جنيناً" لم تضم رحماً على ولد.

وفيه قول آخر: "لم تقرأ جنيناً" أي: لم تلقه[5].

ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعاً[6].

---

[1] دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم 1، مجلد1، :2.

[2] ينظر: الصحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط، مادة (قرأ).

[3] ينظر: الصحاح، مادة: قرأ، والاتقان: 1/113.

[4] قوله: "بكر هجان اللون" البكر الناقة التي ولدت ولداً واحداً وقد يطلق على الناقة التي لم تلد، وقوله: "لم تقرا جنيناً" أي: لم تضم في رحمها جنيناً. ومعنى البيتين: تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت عيون اعدائها؛ تريك ذراعين ممتلئين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ولم تضم رحمها على ولد ولم تلقه؛ يصفها بالسمن والبياض. ينظر: شرح أبي جعفر النحاس على المعلقات ص93-94، وشرح الزوزني للمعلقات ص 203-204؛ وشرح المعلقات للتبريزي ص258-259. والبيت الثاني له رواية غير مذكورة هنا وهي: ذراعي عيطل أدماء بكر تربعت الأرجاع والمتونا، نبه عليه النحاس والزوزني والتبريزي، وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه. ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والاحكام : 1/106.

[5] ينظر: جامع البيان: 1/95-96، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، وقارن بلسان العرب وتاج العروس، مادة: قرأ.

[6] ينظر: لسان العرب وتاج العروس، مادة "قرأ".

وفرّق ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) بين قري يقرى وبين قــرأ يقــرأ؛ فــالأولى من بــاب اليــاء من المعتل ومعناهــا: الجمع والاجتماع، والثانية من باب الهمز ومعناها الظهـور والخـروج على وجه التــوقيت والتحديد ومنه قــراءة القــرآن؛ لأن قارئه يظهــره ويخرجه مقدراً محدوداً لا يزيد ولا ينقص ويدل عليه قوله تعـالى: (إنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنهُ) (القيامـة:17)؛ ففرّق بين الجمع والقـرآن ولو كان واحداً لكان تكريراً محضاً[1].

القراءة في الاصطلاح:

لعلماء القراءات-رحمهم الله- جملة من التعريفات في حدِّ القراءات وهي[2]:

1-عـرَّف أبو حيـان (ت754هــ) القـراءات في أثنـاء تعريفه للتفســير، إذ قــال: "التفســير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفــاظ القــرآن ومــدلولاتها في أحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب وتتمات لذلك".

ثم قال رحمه الله: "وقولنا: [يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن] هذا هو علم القرآن"[3].

يلاحظ أن هــذا التعريف أقــرب إلى موضــوع التجويد منه إلى تعريف القراءات[4].

2-عرَّف بدر الدين الزركشي (ت794هـ) القراءات تعريفـاً يفـرق فيه بينها وبين القـرآن، فقـال: "القـرآن هو الـوحي المـنزل على محمّد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ؛ للبيـان والإعجـاز، والقـراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المـذكور في كتبه الحـروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[5].

ويلاحظ ما يأتي:

-انه خصص القراءات في تعريفه بمواضع الاختلاف، ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها[6].

---

[1] ينظر: زاد المعاد: 5/635.

[2] بدأت التعريف بقول أبي حيان من القرن الثامن، لأني لم أجد تعريفاً اقدم من تعريفه في ما بين يديّ من كتب.

[3] البحر المحيط: 1/14.

[4] يعرّف التجويد بأنه: "إخراج كل حرف من القرآن الكريم من مخرجه مع إعطائه حقّه ومستحقه". ينظر: الكتب المصنفة في تجويد القرآن ومنها [البرهان في تجويد القرآن] "عالم الكتب":9-10، و[هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ] 37-38، و[الموجز الفريد في أحكام التجويد] 38.

[5] البرهان في علوم القرآن: 1/318.

[6] ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: 63، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام: 1/108.

-انه قصر الاختلاف في القراءات على ما ذكر ولم يشـر-بوضـوح- إلى الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والاثبـات وهو واقع في القراءات[1].

3-عرَّف شمس الدين بن الجـزري(ت833هــ) القـراءات بقولـه: "القـــراءات علم بكيفية أداء كلمـــات القـــرآن واختلافها بعـــزو الناقلة"[2].

4-عرَّف جلال الـدين السـيوطي(ت911 هــ) القـراءات في أثنـاء حديثه عن العالي والنازل من أسانيد القرآن، إذ قال: "ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة او العشـــرة أو نحـــوهم واتفقت عليه الطـــرق والروايـــات فهو قراءة..."[3].

ويلاحظ ما يأتي:

-انه لم يحدد ماهية القراءة من حيث هي، إنما بالنظر إلى الرواية والوجه والطريق[4].

-عرّف شهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ) علم القراءات بانه: "علم يعرف منه اتفـاق النـاقلين لكتـاب الله واختلافهم في اللغة والإعـــراب والحـــذف والاثبـــات،والتحريك والإســـكان والفصل والاتصـــال، وغـــير ذلك من هيئة النطق والإبـــدال مـن حـــيث السماع.

أو يقــال: علم يعــرف منه اتفــاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب،والحذف والاثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل.

أو يقـــال: علم بكيفية أداء كلمـــات القـــرآن واختلافها معـــزواً لناقله"[5].

ويلاحظ: أن التعريف الثالث هو ما قاله ابن الجزري.

6-عـــرَّف الـــدمياطي (ت1117 هـــ) القـــراءات كما عرفها القسطلاني[6] في تعريفيه الأول والثالث المذكورين سابقاً.

---

[1] ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام:1/108.
[2] منجد المقرئين:3.
[3] الإتقان في علوم القرآن: 1/209.
[4] ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: 1/109.
[5] لطائف الإرشاد: 1/170.
[6] ينظر: اتحاف فضلاء البشر:5.

7-عـرَّف عبد الفتـاح القاضي[1] (ت 1403هــ) القـراءات بأنهـا: "علم يعرف كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقـاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله"[2].

<u>أنواع القراءات:</u>

من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة احرف كما ورد في الحديث المتواتر: "أنزل القـرآن على سـبعة أحـرف كلها شافٍ كاف"[3]

ومن هنا اختلفت قراءات الصـحابة والتـابعين، ولسـنا هنا بصـدد بيان معنى هذه الأحرف التي كَثُرَ الخلاف فيهـا، ولكن نريد التنبيه على أنّ القـــراءات على اختلافها ترجع إلى حـــرفٍ واحد أو ما احتمله رسم المصــحف من احــرف، كما ذكــره الطــبري (ت 310هـ) في كتابه "في القراءات" الذي لم يصل إلينـا، ونقله عنه مكي بن أبي طالب (ت 437هـ)[4].

ولمّا كثرت القراءات وضع العلماء ضوابط للقراءة الصحيحة اولها: الرواية، وهذا الضابط موجود منذ زمن النبي(صـلى الله عليه وآله وسلم)، ثم موافقة رسم المصحف بعد أن نسخ عثمـان (رضى الله عنه) المصاحف، ثم بعد ذلك كان الضابط الثـالث وهو موافقة العربية ولو بوجه.

ومن هنا أجمع أهل الامصـار على أئمة اشـتهروا بالضـبط والاتقان، اختارهم ابن مجاهد (ت324هــ) في كتابه "السـبعة في القراءات"، عرفوا بالقراء السبعة وهم[5]

1-عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي،(ت 118هـ).
2-عبد الله بن كثير الداري المكي، (ت120هـ).
3-عاصم بن أبي النجود الكوفي، (ت127هـ).
4-أبو عمرو بن العلاء البصري، (ت 154هـ)

---

[1] عبد الفتاح القاضي، عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها، له كتاب"البدور الزاهرة في القراءات العشر" و"القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب"، من علماء الازهر، توفي سنة 1403هـ.
[2] البدور الزاهرة: 7.

[3] صحيح البخاري: 3/226.
[4] ينظر: الإبانة عن معاني القراءات: 2،3،12، ومحاضرات في علوم القرآن: 127-128، والقراءات عند مكي بن ابي طالب، عبد الستار فاضل، مجلة آداب الرافدين، العدد 27: 198-199 لسنة 1995م.
[5] تكلم ابن مجاهد في كتابه "السبعة عن أحوالهم، ينظر: السبعة: 53-87، والتيسير: 4-7، والبدور الزاهرة: 7،8.

5-حمزة بن حبيب الزيات، (ت 156هـ).
6-أبو عبد الـــرحمن نـــافع بن عبد الـــرحمن بن ابي نعيم، (ت 169هـ).
7-علي بن حمزة الكسائي، (ت 189هـ).
ويتلوهم في الشهرة أصحاب القراءات الثلاث المتممة للعشر[1] والمنسوبة إلى:
8-ابي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، (ت 130هـ).
9-ابي محمَّد يعقوب بن اسحاق الحضرمي، (ت 205هـ).
10-ابي محمَّد خلف بن هشام البزار، (ت 229هـ).
ثم تأتي القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة[2] والمنسوبة إلى:
11-الحسن البصري، (ت 110هـ).
12-الأعمش سليمان بن مهران، (ت 148هـ).
13-اليزيدي يحيى بن المبارك، (ت 202هـ).
14-ابن محيصن محمّد بن عبد الرحمن المكي، (ت 123هـ).

<u>الأحادية</u>:وهي التي لم تصل في نقلها إلى مستوى يفيد باتصـــالها بـــالنبي(صـــلى الله عليه وآله وســـلم) مع كونها جامعة للشـــروط الثلاثة[3]، ويعد هذا النوع من القراءات من الضوابط الـتي وضـعها العلمــاء للتميــيز بين القــراءات المتــواترة وغيرها[4]، على رأي القائلين: ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن وإن وافق العربية، ورسم المصــحف ونقله الثقـــات[5]؛ لأن القـــرآن عند جمهـــور المذاهب الأربعة هـو: "ما نقل بين دفـتي المصـحف نقلاً متـواتراً

[1] ينظر: نبذة عنهم في شرح طيبة النشر: 11-12.
[2] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: 7.
[3] ينظر: القراءات القرآنية: 57-59.
[4] ينظر: المصدر نفسه: 17.
[5] ينظر: المرشد الوجيز: 181.

"[1]، وتدخل في الأحادية القراءات المنسـوبة إلى الصـحابة، وهي التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة بالقبول[2].

وقد يلحق هذا النوع عند بعضهم بالمتواتر؛ لاقترانه بـما يـفيد الـعلم باتصاله بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

الشـاذة: وهي المخالفة للرسم العثمـاني، الـتي لم تتلقها الأمة بـالقبول لعـدم استفاضـتها[4]. ويعرّفها ابن الجـزري (ت 833هـ) بقولـه: "ما وافق العربية وصـحَّ سـنده وخـالف الرسـم"[5]. وقد اختلف العلماء في تحديد ضوابط الشـذوذ في القـراءات القرآنية مما أدى إلى عدم استقرار المعنى، وسنعرض ذلك فيما يأتي:

1-حكى مكي بن ابي طالب القيسي (ت 437هـ) رواية لنـافع بن ابي نعيم(ت 169هـ) نصها: "قرأت على سبعين من التـابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذَّ فيه أحد تركته حـتى اتبعت هـذه القراءة"[6].

هنا تكمن إشارة إلى شذوذ القراءة المنقولة عن طريق الآحاد.

2-الشـاذ ما خـالف الرسم العثمـاني وإنّ صـحَّ النقـل، ووافق العربية، قـال مكي: "...ما صـحَّ نقله في الآحـاد، وصـحَّ وجهه في العربيـة، وخـالف لفظه خط المصـحف، فهـذا يقبل ولا يقـرأ به لعلتين إحداهما:انه لم يؤخذ به بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر واحد، والأخرى: أنه مخـالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على معيبه وصحته ولا يجـوز القـراءة به ولا يكفر من جحده"[7].

---

(1) اتحاف فضلاء البشر: 181.
(2) ينظر: منجد المقرئين: 16.
(3) ينظر: القراءات القرآنية: 57-58.
(4) ينظر: القراءات القرآنية، عبد الهادي الفضلي: 58-59.
(5) منجد المقرئين: 165.
(6) الإبانة عن معاني القراءات: 17.
(7) المصدر نفسه: 18-19.

3-الشــاذ ما لا وجه له في العربيــة، يقــول أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الصـمد علم الـدين السـخاوي(ت 643هـ): "هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقـة، ولا وجه له في العربيـة، فهـذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف"[1].

وقد ظلّت هذه الأنواع للقراءات الشـاذة تمثل مفهـوم الشذوذ حتى عصر ابن مجاهد إذ ظهر مفهوم جـديد للــشاذ، وهو ما خرج عن القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد (ت 324هــ) في كتابه الموســوم بـــ"الســبعة"، أشــار إلى ذلك ابن جــني(ت 392هـ) عند كلامه عن أقسام القراءات[2].

وجاء ابن خالويه (ت 370هـ)؛ ليضيف قارئاً آخر إلى القراء السـبع، هو يعقـوب بن اسـحاق الحضـرمي[3]. فالشـاذ عنـده ما خــالف القــراءات الثمــان، ثم ظهر مفهــوم جديد للشــاذ من القــراءات وهو ما ذكـره أبو شـامة[4](ت665هــ)، إذ قـال: "كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيؤها على الفصيح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلفت هذه الأركان الثلاثة اطلق على تلك القراءة أنها شـاذة، أشـار إلى ذلك جماعة من المتقدمين"[5].

ظلّت هـذه الأركـان الثلاثة مقياسـاً في تميـيز القـراءات الصحيحة من الشاذة زمنـاً طـويلاً حـتى مجيء ابن الجـزري (ت 833هــ) الـذي طالعنا بقولـه: "إن كل قـراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردَّها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحـرف السـبعة الـتي نـزل بها القـرآن، ووجب على النّـاس قبولها، سواء أكـانت عن السـبعة أم عن العشـرة أم عن غـيرهم من الأئمة المقبـولين، ومـتى أختل ركن من هـذه الأركـان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سـواء أكـانت عن السـبعة أم عن من هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"[6]. فحدث للقراءات شيء من التوسع، فأضيفت ثلاث قراءات إلى القراءات السبع، وقد مرّ ذكرها.

---

[1] جمال القرّاء: 1/243.

[2] ينظر: المحتسب: 2/70.

[3] ينظر: تاريخ القرآن، شاهين: 11.

[4] أبو شامة هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، ابو القاسم شهاب الدينن ابو شامة مقرئ مفسر، مؤرخ(599-665هـ)، غاية النهاية، ط2.

[5] ينظر: المرشد الوجيز: 103.

[6] النشر:1/9 ، وينظر: البرهان: 1/231، ولطائف الإرشاد: 1/67.

وأصبح الشاذ ما خالف القراءات العشر، استمع إلى ابن الجـزري يقـول: "...فالـذي وصل إلينا اليـوم متـواتراً وصـحيحاً مقطوعاً به قراءات الأئمة ورواتهم المشهورين، هذا الـذي تحـرر من أقوال العلماء، وعليه النّاس اليوم"[1].

المبحث الثالث

الزمخشري وتفسيره

الزمخشري: سـوف أتنـاول حيـاة الزمخشـري، وآثـاره العلمية بشـكل مـوجز؛ لأن ثمة بـاحثين أفاضـل، قد أفاضـوا الحـديث عن حياته، وآثاره، فلا أجد مدعاة لتكرير ما قـالوا، وإنما أتنـاول حياته بالشكل الموجز، وبما يؤسس مبحثاً تمهيدياً لهذه الرسـالة. ومن أبرز من تناول حياة الزمخشري، وآثاره هم:

1-أبو موسى محمّد حـــــثيث-البلاغة القرآنية في تفســـــير الزمخشري.
2-د. أحمد محمّد الحوفي-الزمخشري.
3-عبد الرزاق المهدي-الكشاف. تحقيق.
4-د. فاضل صــالح الســامرائي-الدراســات النحوية واللغوية عند الزمخشري.
5-د. فهمي حسن النمـر-مسـائل النحو الخلافية بين الزمخشـري وابن مالك.
6-محمَّد حسن إبراهيم-الزمخشري أديباً.
7-مرتضى آيات الله الشيرازي-الزمخشري اللغوي.
8-مصـطفى الصـاوي الجويـني-منهج الزمخشـري في تفسـير القرآن وبيان اعجازه.

اسمه وكنيته ولقبه:

الزمخشري: هو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمّد بن عمر[2]. كان يعرف بالزمخشري نسـبة إلى زمخشر[3]. لُقِبَ بجـار الله لمجاورته مكة، وفخر خوارزم لغزارة علمه[4].

---

[1] النشر: 1/71.

[2] ينظر: نزهة الالباء: 274، ووفيات الاعيان: 4/254، والبداية والنهاية: 12/219.

[3] زمخشر احدى قرى خوارزم القريبة منها، يقول القفطي: (سمعت بعض التجار تقول أنها قد دخلت في جملة المدينة، وان العمارة لما كثرت وصلت إليها فصارت من جملة محالها)، إنباة الروارة: 3/265.

[4] ينظر: نزهة الالباء: 274 وبغية الوعاة: 2/280.

مولده: كان مولده بزمخشر يوم الأربعاء السـابع والعشـرين من رجب سنة 467[5].

(نشـأته): عاصر تأسـيس الدولة الخوارزميـة، ونشأ في بيئة خوارزم العلمية التي وصف المقدسيُّ أهلها بأنهم أهل فهم وعلم وفقة وقرآن وأدب[2].

وكان الاعتزال هو العقيدة السائدة فيهم حـتى أنه لينـدر أن نجد خوارزميا غير معتزلي[3]، ومنهم الزمخشري الـذي كـان من اعلام المعتزلة، قوياً في مذهبه، مجاهراً به، حتى نقل عنه أنه إذا قصد صـاحباً له وأسـتأذن عليه في الـدخول يقـول لمن يأخذ له الاذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب[4].

(ثقافته): تلقى الزمخشري العلم في حياته الأولى في خـوارزم، واتصل بشـيوخها، ثم رحل إلى بخـارى ليطلب العلم، ورد بغـداد غير مرة، وسمع من مشايخ متعددين حتى برز في أكثر من علم، واشـتهر بعـدّة فنـون، كـان نحويـاً فاضـلاً، وسـمع الحـديث وتفقّه وصار إمام عصره[5]. ويشهد له ما خلّفه من مؤلفات شتى[6].

من أشهر علماء خوارزم الذين أخذ عنهم، أبو مضر محمّد بن جرير الضـبي الاصـفهاني النحـوي (ت 507هـ) الـذي يلقب بفريد العصر ووحيد الـدهر في علم اللغة والنحو والطب، وكـان يضرب به المثل في الفضائل[7].

وأخذ عن أبي بكر عبد الله بن طلحة بن محمّد بن عبد الله اليـابري الأندلسي (ت 518هـ) من أهل يـابرة من بلاد الأنـدلس، نحوي أصولي فقيه، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه[8].

(?)5 ينظر: نزهة الألباء: 276، ووفيات الأعيان: 4/259.

(?)2 ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: 284، والزمخشري، للحوفي: 15.

(?)3 ينظر: الزمخشري، للحوفي: 25.

(?)4 ينظر: وفيات الاعيان: 4/255، وبغية الوعاة: 2/279.

(?)5 ينظر: وفيات الاعيان: 4/255، ونزهة الألباء: 274، والنجوم الزاهرة: 5/274.

(?)6 قد احصى الدكتور فاضل السامرائي للزمخشري نحو 56 مؤلفا بين مطبوع ومخطوط، ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: 85-100.

(?)7 ينظر: معجم الأدباء: 19/22، ووفيات الاعيان: 4/254، وبغية الوعاة: 2/388.

(?)8 ينظر: بغية الوعاة: 284، والبحر المحيط: 4/372.

(تلامذته): تلقى العلم عن الزمخشري كثيرون، ومن أشهرهم، أبو الحسن علي بن محمّد بن علي بن احمد بن هارون العمراني الخوارزمي (ت 560هـ)، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ، قرأ على الزمخشري فصار أكبر أصحابه وأوفرهم حظاً، صنّف في التفسير والاشتقاق وعلوم أخرى[1].

ومنهم أبو الفضل محمّد بن ابي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي الآرمي النحوي (ت 562هـ)، الملقب بـ(زين المشايخ)، كان إماماً في الأدب وحجة لسان العرب، أخذ اللغة والإعراب عن الزمخشري، وجلس بعده مكانه، ألّف في التفسير واللغة والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك[2].

وممن أجاز لهم الزمخشري محمّد بن محمّد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمّد بن عبد الله رشيد الدين المعروف بـ(الوطواط)، المولود ببلخ والمتوفى بخوارزم سنة(573هـ)[3].

وزينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني-وتعرف بابنة الشَعْري-عالمة فاضلة ومحدثة جليلة، أجازت ابن خلكان، توفيت بنيسابور (615هـ)[4].

(وفاته): توفي أبو القاسم (رحمه الله) بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة سنة (538هـ)[5].

موقف الزمخشري من القراءات القرآنية

للزمخشري عناية كبيرة بالقراءات القرآنية، إذ يُعد كتابه-الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- مصدراً مميزاً يزخر بفيض من القراءات على اختلاف أقسامها، المتواترة والشاذة وغيرها، ويمكن أن نوجز بعض مواقفه على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] ينظر: معجم الأدباء: 15/61-65، وبغية الوعاة: 2/350-351.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 15/5، المصدر نفسه: 1/92،و الزمخشري للحوفي: 53.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 19/29،والزمخشري للحوفي: 54.

[4] ينظر: وفيات الأعيان: 4/256-267، واعلام النساء: 2/75-76.

[5] ينظر: نزهة الألباء: 276، وفيات الأعيان: 4/259، وأنباه الرواة: 3/268.

1-يستدل بالقراءات على قضايا نحوية، كاستعانته بقراءة على تقدير مضاف، قال في قوله تعالى: (أجعلتم سقايةَ الحاجِّ وعمارة المسجد الحرامِ كَمَن آمَنَ بالله واليوم الآخر...) (التوبة/19): "ولا بدّ من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد...) تصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي[1]-وكان من القراء-: "سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام"[2].

2-ويستدل بقراءة على ترجيح قراءة أخرى، قال في قوله تعالى: (مالِكِ يوم الدّينِ) (الفاتحة/4): "قرئ: ملك يوم الدينِ،ومالك وملك بتخفيف اللام. وقرأ أبو حنيفة (رضى الله عنه): مَلَكَ يومَ الدينِ، بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة(رضى الله عنه): مالكَ بالنصب. وقرأ غيره: مَلَك، وهو نصب على المدح؛ ومنهم من قرأ: مالكٌ بالرفع. ومَلك: هو الاختيار؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: (لِمَنْ المُلْكُ اليومَ) (غافر/16)، ولقوله: (ملك الناس) (الناس/2)، ولأن المُلْك يعم والمِلْكَ يخص"[3].

3-يستدل بالقراءات للوصول إلى المعنى وترجيح المقصود، قال تعالى: (واتقوا فتنةً لا تُصِيبنَّ الذِّين ظلموا منكم خاصةً...) (الانفال/25): "(لا تصيبنَّ) لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر. أو نهياً بعد أمر. أو صفة لفتنة... وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كانه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها...ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: " لتصيبنَّ" على جواب القسم المحذوف[4].

4-ويستدل على اثبات قراءة بقراءة أخرى. قال في قوله تعالى: (مَّن يُصَرف عنه يومئذٍ فقد رَحِمَهُ) (الأنعام:16): "وقرئ (من يَصْرف عنه) على بناء للفاعل...ويجوز أن ينتصب (يومئذٍ) بـ (يصرف انتصاب المفعول به,أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم...وينصر هذه القراءة قراءة أُبي (رضى الله عنه): من يصرف الله عنه)[5].

5-قد ينسب بعض القراءات إلى عدم الفصاحة. قال في قوله تعالى: (فَإِذَا فَرغتَ فَانصَب) (الشرح:7): "وقرأ أبو السّمّال: فرِغت-بكسر الراء-وليست بفصيحة"[6].

---

[1] ابن وجزة السعدي: شاعر ومحدّث وكان من القراء-: "سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام" ، ينظر: هامش الكشاف: 2/244.
[2] الكشاف: 2/243،244.
[3] المصدر نفسه: 1/54.
[4] الكشاف: 2/201.
[5] المصدر نفسه: 2/12.
[6] المصدر نفسه: 4/777.

6-قد يخطئ قسماً من القراءات ويلحنها ولو كانت من القراءات السبع. قال في قوله تعالى: (فَلْيُؤَدِّ الّذِي اؤتمن أمانته...) (البقرة: 283): "وعن عاصم أنه قرأ: (الذي اتّمن)، بإدغام الياء في التاء، قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح؛ لأنّ الياء منقلبة عن الهمزة ، فهي في حكم الهمزة "[1] وقال في "الفائق": "قد غلط من قرأ: (الذي اتمن)[2] وعاصم أحد القّراء السبعة.

7-وقد يلحن القارئ. قال في قوله تعالى: (...ءَ أَنذَرتَهُم...) (البقرة:6): "....فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب..."[3].

وهي قراءة ورش[4]

8-قد ينسب الخطأ والوهم إلى نقلة القراء لا إلى القراء أنفسهم. استمع إليه وهو يقول في قوله تعالى: (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء...) (البقرة:284): "فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء. ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأً فاحشاً. ورواية عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهلٍ عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلاّ أهل النحو"[5].

9-قد يذهب به الرأي إلى ان القراءة رأي واجتهاد وهي تؤدي حسب المعنى ويغفل السند، قال في قوله تعالى: (أنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها...) (البقرة:26): " فإن رفعتها-بعوضة-فهي موصولة ما، ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي في معنى الاستفهام...وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم[6] والمشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه "[7]

---

[1] المصدر نفسه: 1/356.
[2] الفائق في غريب الحديث والأثر: 1/15.
[3] الكشاف: 1/88.
[4] ينظر: التبصرة في القراءات: 71، والبدور الزاهرة: 20.
[5] الكشاف: 1/357-358.
[6] الشِّيحُ-بكسر الشين-نبت معروف-والقيصوم: نبت زهرة مرّ جداً. ينظر: مختار الصحاح: مادة: (ش.ى.ح)، وهامش الكشاف: 1/143.
[7] الكشاف: 1/143.

10-وقبل كل هـــذا يعد الكشـــاف من كتب القـــراءات، إذ أورد الزمخشري الكثير من القراءات بكل أنواعها.

تفسيره:

لم نَرَ الزمخشري يشمخ بمؤلف له شموخه هذا بالكشاف الـــذي يحق للعلمـــاء أن يعد ممثلاً لنضـــجهِ العلمي. فـــيرى فيه الزمخشـــري رجلاً قد هضم التفســـير، وأحـــاط معرفة وخـــبراً بالقضـــايا الفقهية والخلاف فيهـــا. وألم إلمامـــاً بـــالقراءات يغبط عليـــه، فضـــلاً عن إطلاعه الواسع على الشـــعر والنـــثر. مما أتـــاح للزمخشري بروزه بوصفه لغوياً متمكنا ومنطقيا بارعا.

ويعد تفسيره هذا خلاصة لما يتمتع به من ثقافات ومعرفة، زيادة عن اســتفادته مِن آثـار مَن تقدمه ســواء أكـان في اللغة أو غيرها من المعارف[1].

وقد احصى له عبد الرزاق المهدي محقق "تفسير الكشاف" المصـــادر الـــتي نقل عنها الزمخشـــري، كتفســـير ابن مجاهد[2]، وتفسير عمرو ابن عبيد (ت114هـ)، ومعاني القـرآن للزجـاج (ت 311هـ) وتفسير الرماني (ت 384هـ) وغيرها من التفاسير.

وكـذلك المصـاحف كمصـحفي ابن مسـعود وأبيّ بن كعب وغيرهما من المصاحف، أو مصادر لغوية كـ"الكتاب" لسيبويه (ت 180هـــ)، و"اصـــلاح المنطـــق" لابن الســـكيت (ت244هـــ)، و"الكامل" للمبرد (ت 285هـ)، وغيرها.

ومصـــادر الأدب ككتـــاب "الحيـــوان" للجاحظ (ت 255هـــ)، و"الحماسة" لأبي تمام (ت232هـ)[3].

وتضافرت هذه المنابع مع موهبة وحنكة الزمخشري لتعطينا تفسيراً أظهر الكثير من جمـال النظم القـرآني وبلاغته مما جعله محل ثنـاء الـذين جـاؤوا من بعـده. فقد وصـفه ابن خلـدون (ت

---

[1] ينظر: الكشاف: 1/23.

[2] هو الإمام المخزومي مجاهد بن جبر المقرئ المفسر الحافظ، سمع سعداً وعائشة وابا هريرة وابن عمر وابن عباس (رضى الله عنهم) ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن. قال عنه قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وروى عنه الأئمة الستة، توفي سنة (103هـ) وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة. تذكرة الحفاظ، للذهبي: 1/92.

[3] ينظر: الكشاف :1/23-24.

808هـــ) بقولـــه: "ومن أحسن ما اشـــتمل عليه هـــذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلاّ أنّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد..."[(1)]

ورأي يحيى بن حمـزة العلـوي (ت 749هــ) أنه متمـيز من سـائر التفاسير من جهة تأسيسه على فني المعاني والبيـان، فقـال عن سـبب تأليفه كتـاب "الطـراز" إن البـاعث على تـأليف كتابه هو :"أن جماعة من أخوانه قـــرؤوا تفســـير العـــالم المحقق أســـتاذ المفســـرين محمــود بن عمر الزمخشــري، الممتــاز بأنه مؤسس على قواعد علم المعــاني والبيــان،...ومن أجل هــذا الوجه كــان متمـيزاً من سـائر التفاسـير، لأني لم أجد تفسـيراً مؤسسـاً على المعاني والبيان سواه..."[(2)].

ولمكانة الكشاف اعتنى به العلماء بين مختصر له أو شارح أو معلّق عليه أو جــامع بينه وبين غــيره، أو مخــرج لأحاديثــه، أو شــواهده الشـعرية، وقد احصى عبد الـرزاق المهـدي منها اثـني عشر كتابـاً، وأحصى من المختصـرات على الكشـاف أربعة كتب، ومن كتب الشواهد الشـعرية الـواردة في الكشـاف مع شـروحها وبيان معانيها، أحصى كتابين[(3)].

والحقّ ان الكشاف أصبح مناراً يهتدي إليه الكل، وقد أعترف الكثير من العلماء حتى من خصومه ببراعته وحسن صناعته.

[(?)1] مقدمة ابن خلدون: 988.

[(?)2] الطراز: 1/5.

[(?)3] ينظر: الكشاف: 1/29-31، ولمزيد من التفاصيل ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة : (2/1475-1484) حيث سرد أسماء الأئمة الذين اعتنوا بكتاب :"الكشاف" وهم ما بين مختصر، ومعلّق عليه، ومخرج لأحاديثه وشعره.